

من حبرنا العربي

رأيت في نومي البارحة رؤيا أفزعتنى : رأيت أنى تروجت . ولم تبين الرؤيا كيف تم ذلك ، ولكن وجدت نفسى على فرش وثيرة من الدمقس الأزرق فى حجرة جميلة ذات سجف من حرير متألّق متواج الألوان كرقبة الجامة . وسمعت حولى من يقول :

— هذا جهازها — جهاز من ؟ — عروسك
— ومن الذى زوجنى ؟ ومن العروس ؟
— من بيت حسب ونسب . ذات جمال ومال وحلاوة لسان . وهى فرصة كان لا بد من انتهازها . وقد علت بك السن وكاد يفوت أوان الزواج

— ومن انتهز لى هذه الفرصة ؟
— أولاد الحلال ، من قرائك الممجين الذين يهتمون لأمرك
— شىء لطيف . وهؤلاء القراء الممجون الذين زوجونى ، كيف فعلوا ذلك ؟ وأين وجدوا لى هذه العروس .. ؟
— لا شأن لك بكل هذه التفاصيل . ولا تشغل بالك إلا بما أنت فيه من نعم مقيم

— والعروس ؟ أسبق لى رؤيتها ؟ — لا . سترها الليلة
— عجباً ! وكيف يزوجونى ممن لم أرها ونحن فى القرن العشرين ؟ آه أيها الناس ! إن هذا جاوز الحدود ...
— هى أيضاً لم ترك — أقرأت كتنى ؟
— لو كانت قرأت كتبك لما تزوجتك
— وكيف إذن أقنعوها ؟

— قالوا لها عنك كل شىء . إلا الأدب والتأليف . فقد وجدوا من الحكمة وأصالة الرأى كتمان ذلك عنها إلى أن يتم العقد ويتمذر النقض

وفتحت عينى فى الصباح وأما أقول : « اللهم أحمك على استيقاظى قبل تمام العقد ، وقبل مواجهة العناة بذلك الصب الذى لا يقتفر ! نعم ان المرأة لن تتغير . إن شئون الفكر عندها شىء مخيف وكلم من شعراء وأدباء أصفوا على نسايتهم كنوز عقولهم ولم يظهروا لمن إلا كما يردتهم : رجالات مستدلين ككفة الرجال ! »
توفيق الحكيم

ومما يؤيد هذا أيضاً أن النساء اللواتى اشتهرن بالفلسفة (كهيئاتيا) وغيرها لم يدعن مذاهب جديدة بل إتبعن المذاهب القديمة وحللنها وهذبنها . فالمرأة أقرب إلى الاتباع منها إلى الإبداع . وهى لا تقبل الحقائق المؤقتة ، بل تريد أن يكون كل شىء نهائياً . فتسبغ على الحقائق العلمية حلة دينية وتقلب النسبى إلى مطلق . إن تلاميذ الفلسفة يفضلون الكليات الفلسفية على الجزئيات ، فيضخمون الفكر البسيطة ويعممونها حتى تشمل الكون كله . أما تلميذات الفلسفة فيملن إلى الجزئيات ويرغبن فى التحليل دون التركيب : فعقل المرأة عقل تحليلى ، أما عقل الرجل فعقل تركيبى . نعم إن المرأة واسعة الخيال ، ومن صفات الخيال الواسع أن ينشئ ويبدع ، إلا أن خيال المرأة يصلح لتبديل صور الأشياء وتغيير حقائقها لا لإنتاج الفرضيات المنظمة وإصلاح الواقع بها .

تلك هى أنواع النساء من الوجهة النفسية . فالمرأة الحساسة تصلح للشعر والموسيقى والتصوير والتمثيل ، والمرأة الحساسة الذكية تصلح للحياة العملية من نجارة وإدارة ، والمرأة المفكرة تصلح للعلم والفلسفة . وقد تمتاز هذه الصفات فتجتمع فى امرأة واحدة ، فيكون منها نوع معتدل صالح للقيام بجميع الأعمال . وقد أخذت صفات المرأة تتبدل فى الحياة الاجتماعية الحديثة لأنها قد شاركت الرجل فى جميع الأعمال من تجارة وصناعة وإدارة واقتصاد وسياسة ، فساقها التطور إلى استبدال كثير من صفاتها القديمة بصفات جديدة ، فاستبدلت بالحياء الجرأة ، وبالحشية الاقدام ، وبالسكون الحركة ، وبالسذاجة الحيلة ، وبالعبودية الحرية ، وبالماطنة العقل . وأعتقد أن هذه الصفات الجديدة لا تفسد جمال المرأة بل تزيد سحرها قوة ، لأن العلم لا يجفف القلب بل يبدد ظلمات الغريزة ، وينير طرائق العقل ، ويكشف عن جمال الأشياء ، ويولد فى المرأة صفات نفسية مشابهة لصفات الرجل فى تفكيره وانفعاله وفعله ؛ ويقلب حياة المرأة الانبعاثية إلى حياة مفعمة بالحرية والإبداع . وما أدرى لعل التطور يكشف لنا فى المستقبل عن نوع جديد أكل من هذه الأنواع الأربعة تتحد فيه الماطنة بالفكر والإرادة بالعقل . إن الأحلام ليست أقل تأثيراً فى التطور من اشتباك الأسباب الحقيقية واختلافها .

جميل صليبا

رئيس التميم الثانوى بدمشق